OPEN ACCESS
Received: 10 -01 -2025
Accepted: 13- 03-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

The Poet Imran bin Al-Fadl Al-Hamdani and Three of His Descendants: Aspects of Their Lives and Surviving Poems: Compilation, Verification, and Study

Dr. Abdullah Taher Al- Huthaifi *
raknfsn@gmail.com

Abstract

This research explores the surviving poetry of Imran bin Al-Fadl Al-Yami (d. 479 AH), the knight and leader of Hamdan in Yemen, along with the poetry of his son Hussein bin Imran, his grandson Nasser bin Mohammed bin Ahmad bin Imran, and his great-grandson Ahmad bin Mohammed bin Hatem Al-Hatemi. It examines the aspects of their lives through available historical sources, both manuscript and printed, using a historical and social methodology. The study presents key details of their lives in relation to their time periods, and it analyzes their poetry by documenting, verifying, and interpreting its themes and artistic content. The research highlights the noble qualities, pride, and valor that dominate their work, showcasing their mastery of classical Arabic poetic styles and eloquence. The poets' compositions reflect their social environment and family legacy, as the study reveals that their surviving poems are free from colloquial dialect influences, focusing on high linguistic standards. The research concludes by compiling these poets into a family lineage of 13 distinguished literary knights.

Keywords: Hamdan Poets, Ancient Yemeni Poetry, Social Environment, Arabic Poetry.

* Associate Professor of Arabic Literature, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, University of Al-Wasl – Dubai, United Arab Emirates.

Cite this article as: Al-Hudhaifi, A. T. (2025). The Poet Imran bin Al-Fadl Al-Hamdani and Three of His Descendants: Aspects of Their Lives and Surviving Poems: Compilation, Verification, and Study, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(2): 200 -219. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2538

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/01/10م
تاريخ القبول: 2025/03/13م

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

الشاعر عمران بن الفضل الهَمْداني وثلاثة من ولده وحفدته: ملامح من حياتهم وبقية من أشعارهم: جمع وضبط ودراسة

د. عبد الله طاهر الحذيفي *
raknfsn@gmail.com

ملخص:

يكشف هذا البحث عمّا تبقى من شعر عمران بن الفضل اليامي فارس همدان وسيدها في اليمن(ت479هـ)، وما تبقى من شعر ابنه الفارس حسين بن عمران، وشعر ابن حفيده الفارس نصر بن محمد بن أحمد بن عمران، وشعر حفيد أحفاده أحمد بن محمد بن حاتم الحاتمي، وما بقي من ملامح حياتهم، بعد استخراج ذلك مما توفّر من مصادرها التاريخية المخطوطة والمطبوعة، بمنهج تاريخي ضمن إطارٍ اجتماعي؛ بعرض ملامح حياتهم، بحسب أزمنتهم، ومقاربة ما تبقى من شعرهم، بتوثيقه من مصادره، وبيان مناسبة كلّ قطعة أو قصيدة، وإبراز موضوعها ومحتواها المعنوي والفني، لتكتمل سلسلةُ شعراء هذه الأسرة، الذين بلغوا بهؤلاء 13 شاعرًا وأديبا فارسا. وتمّ تقسيم البحث إلى مقدمة أشرنا فيها إلى بيئة الشعراء وانتمائهم الأسري، ثمّ أربعة مباحث، اشتمل كلٌّ منها على واحد من الشعراء؛ ملامح من حياته، وما تبقّى من شعره، وتوثيقه، وضبطه، ومقاربته معنًى ومبنى، ثم نتائج تم التوصل فيها إلى أنَّ ما تبقى من شعرهم يَغلِب عليه الحماسة والفخر، واصطناع المَحامد والصفات النبيلة، ويتميز عموما بالتمَكُّن من أساليب الشعر العربي الأصيل، والفصاحة، والاحتجاج من دون شوائب من اللهجة العامية.

الكلمات المفتاحية: شعراء همدان، الشعر اليمني القديم، البيئة الاجتماعية، الشعر العربي.

* أستاذ الأدب العربي المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الوصل/ دبي، الإمارات.

للاقتباس: الحذيفي، ع. ط. (2025). الشاعر عمران بن الفضل الهَمْداني وثلاثة من ولده وحفدته: ملامح من حياتهم وبقية من أشعارهم: جمع وضبط ودراسة، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(1): 200-219. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2538

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة:

من يتأمل بلاد اليمن خلال العصر الوسيط (250- 922هـ -864-1516م) يراها تكتظ بنشاط واسع من التفاعل البشري، والأحداث التي تكاد تملأ الشواطئ والأودية والسهول وقمم الجبال، وما كان من مدنٍ ومساجد ومدارس، وزراعة وتجارة وموانئ وما كان فيها من بنيان القلاع والحصون، وإحياء ما اندثر منها، إذ يكاد لا يخلو من آثارها جبلٌ شامخ أو أكمة مشرفة، وما كان من غزوٍ ودويلات، وحروب ودماء، ومن عِلم وفقهاء ومؤرخين، وأدب وشعر يتدفق عذبا صافيا، وتفاعل اجتماعي وثقافي، وبقايا كل ذلك ثروة هائلة، تختفي اليوم تحت غبار المِحَن والإحن والتحزُّب، الذي ورّث تلك الأحقاد، وولَّد الكراهية والخلاف والصراع الأرعن.

وفي هذا البحث نقف على أطراف باقية من ملامح حياة شعراء وشعرٍ يصوّر بعض ذلك، وتتمثل هذه البقية في أربعة من شعراء الأسرة العمْرانية الهَمْدَانِيَّة؛ نسبةً إلى جدِّهم الفارس عمْرَان بن الفَضْل اليَامي (ت479هـ) (اليمني، 1985، ص253، 354؛ الأنف، 2019، ص 106، 207؛ الهمداني، 1986، ص 138، 139)، الذي كان زعيم هَمْدان في ذروة عهد الدولة الصليحية، التي حكمت في اليمن منذ سنة (445 إلى 532هـ)، وعمران هذا هو جدّ حاتم بن أحمد، الذي اختارته هَمْدَانُ سلطانًا لصنعاءَ ومِخْلافها، ما بين (533-556هـ)، على حين فترةٍ من وجود دولةٍ يمنية جامعة، فأقام ما سُمِّي بالدولة الحاتمية، وضَرب الدينار الحاتمي، وكان عالمًا لغويا وشاعرًا وسياسيا بارعا، وهو أكثرُ رجال هذه الأسرة بقيَّةً شعر. وقد سبق أن نشرنا أربعة أبحاث ضمت في طياتها أشعار 9 شعراء وملامح من حياتهم، وكلهم من هذه الأسرة الحاتمية العمرانية الهمدانية، وقد بدأنا بدراستهم نظرًا لوفرةِ ما بقي من شعرهم.

ثم جمعنا شعراء هذه المجموعة في بحث واحد، كي لا نترك من شعراء الأسرة العمرانية الهمدانية أحدًا ممن حصلنا له على شيء من شعره، وإنْ قلَّت أبياته. ونقدمهم بحسب التسلسل التاريخي لهم، في أربعة مباحث وعلى النحو الآتي:

أولا: الفارس القاضي الشاعر عمْرَان بن الفَضْل اليَامِيّ الهمداني (ت479هـ)، وما بقيَ من شعره إلّا ثلاث قطع شعرية، مجموع أبياتها 12 اثنا عشر بيتا.

ثانيا: الفارس الشاعر حسين بن عمران بن الفضل، وما حصلنا عليه من شعره لا يزيد عن قصيدة واحدة تعداد أبياتها 17 بيتا. وهي في رثاء الملكة سيدة (أروى) بنت أحمد الصليحية (ت532هـ).

ثالثا: الفارس نصرُ بن محمد بن أحمد، ابن حفيد عمران بن الفضل، وكان نصر هذا في أيام عمه السلطان حاتم بن أحمد سابق الذكر، وما أدركنا من شعره إلّا قطعة لا تزيد عن 6 أبيات، في وصف الخيل.

رابعا: الشاعر أحمد بن محمد بن حاتم الملقب بالحاتمي، نسبة إلى جده السلطان حاتم بن أحمد بن عمران، وهو صاحب قصيدة يتيمة قوامها 18 بيتا، وهو متأخرٌ لم نقف على سنة وفاته، وكان قد أنشأ قصيدته التي عثرنا عليها في أواخر سنة (658هـ). وهو فيها يحذر الأميرَ أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول - والي صنعاء المعزول بعد تكراره التمرد- من مغبَّة تسليم نفسه إلى ابن عمه المظفر سلطان الدولة الرسولية.

وقد تم جمع ما بقي من أخبار هؤلاء الشعراء الفرسان، وما بقي من أشعارهم من بعض كتب التاريخ المتاحة، مخطوطة ومطبوعة، وعملنا على الترجمة لكل منهم، وسرد الأخبار بحسب ارتباطها بالأحداث التي وردت خلالها، وبمناسبات الأشعار التي أنشئت من أجلها، وعملنا على ضبط الأشعار وترقيمها وتحديد البحر العروضي الذي جاءت عليه، وتوثيق تخريجها من الأصول التي وردت فيها، وإيراد ما إذا كان هنالك اختلاف في الرواية بين مصدر وآخر، وأتبعنا كل نص شعري

بعرض مناسبته التي جاء فيها، والمضمون الذي قدمه، وأنهينا البحث بخلاصة، وقائمة بالمصادر والمراجع. وبصورة للقصيدة الأخيرة من المخطوطة التي وردت فيها.

وتمّ تقسيم البحث إلى مقدمة أشرنا فيها إلى بيئة الشعراء وانتمائهم الأسري، ثمّ أربعة مباحث، اشتمل كلٌّ منها على واحد من الشعراء؛ ملامح من حياته، وما تبقّى من شعره، وتوثيقه، وضبطه، ومقاربته معنًى ومبنى، ثم نتائج.

1- عمران بن الفضل اليَامِي الهَمْدَاني

ملامح من حياته:

هو القاضي عمْرَانُ بن الفَضْل اليَامِيّ الهَمْدَاني (ابن رسول، 1992، ص 117-119)، ذكر المؤرخ محمد الأكوع أنّه كانَ شاعرًا مُفْلِقًا وخطيبا مفوَّها، وجوادًا متلافا... وسيدًا مُطاعا في قومه، ولقِّبَ بالقاضي نظرًا لفقهه وعلمه وورعه (ابن الديبع، 1988، ص 187، 188)، وكان فارسا شجاعا.

كانَ المَلِكُ علي بن محمد الصليحي مؤسّس الدولة الصليحية في اليمن (439-459هـ)، يُجِلُّهُ، ويستعين بقدراته، وبنفوذه في قومه وأتباعه، حتى أصبح من أركان تلك الدولة وأعيانها الذائدين عنها، وقد أرسلَه الملك الصليحي سنة: 458هـ إلى القاهرة سفيرًا له إلى الخليفة الفاطمي المستنصر(427-487هـ) (اليمني، 1985، ص 253؛ الأنف، 2019، ص 106، 207؛ الهمداني، 1986، ص 96، 97).

رافق عمران بن الفضل موكبَ الملكِ علي بن محمد الصليحي المتجه إلى الحجّ من صنعاء، على طريق تهامة، سنة 459هـ، وكان الملك قد نزل للراحة بوادٍ شحيح الماء قريب من المهجم في تهامة، وأمر القادة المرافقين أن يتقدموا بمن معهم من العسكر في الطريق قبله، فلما ابتعدوا عن مخيَّم الملك الصليحي، هاجمَ سعيدٌ الأحول بن نجاح ذلك المخيمَ واغتالَ الملكَ الصليحي ومن معه من كبار أسرته، وأسرَ زوجه أسماء بنت شهاب، ودخل سعيد الأحول مدينة زبيد بما حمل من الأسرى وبينهم الملكة أسماء بنت شهاب والمال العظيم الذي كان مع الصليحي، مُستعيدًا مُلْكَ أبيه نجاح (الأنف، 2019، ص 114، 115)، وعادَ عمران بن الفضل إلى صنعاء، وأقبل بقومه يؤازر الملكَ الصليحي الجديد أحمد بن علي الملقب بـ"المُكَرَّم"، في التغلُّبِ على خصومه حول صنعاء، ثم قاد قومه في جيش المكرم الذي هاجمَ مدينة زبيد، وكسر شوكة عدوه سعيد بن نجاح، وأنقذ أمَّه الملكة أسماء بنت شهاب من الأسرِ، وعاد المكرم إلى صنعاء منتصرا، لكنه في أثناء ذلك تعرَّض لصدمة هواء أصابته بشللٍ أقعده، وعاد الأحول إلى تَمَلُّكِ ولاية زبيد التهامية اليمنية (الهمداني، 1986، ص 120).

كانَ عمران بن الفضل ممن يبجِّلُهم الملك المكرم الصليحي، إذ كان يقومُ للقائه إذا حضر، ويأخذ بيده ويُجْلِسُه بجانبه على عرشه، وجعله من كبار مستشاريه (الهمداني، 1986، ص 138).

قام المكرم وزوجه سيدة بنت أحمد الصليحية بنقل مَقرّ حكم الدولة الصليحية من صنعاء إلى المنطقة الخضراء في وسط اليمن (إبَّ)، واتخذا مِنَ المدينة الصغيرة (ذي جبلة) عاصمةً للدولة، ومقرًّا لحكمهما وذلك قريبا من سنة 475هـ، وتفاقم المرض بالمكرم فـ«صرف أمر المُلْكِ إلى امرأته الحرة الملكة السيدة الصليحية، وكانت امرأة فاضلة ذات نُسُك وورع وفضل وكمال عقل وعبادة وعلم» (الأنف، 2019، ص 150)، ورأت الملكة أنْ تتفرغ لتدبير شؤون الحكم، فأنزلت زوجها المكرم في حِصْنِ التَّعْكَر المطلّ على ذي جبلة، وجعلت عليه الحراسة، وظلتْ تحكمُ ما بقي تحت سلطتهما من الجبال والبر والبحر اليمني مع شيء متناقص من الولاء للفاطميين في مصر، حتى كادت تَستقِلَّ عنهم قبل وفاتها التي حدثت في سنة 532هـ(الأنف، 2019، ص 156).

ترك الملك المكرمُ وزوجه السيدة الصليحية أمرَ ولاية صنعاء بيد القاضي عمرانَ بن الفضل (الأنف، 2019، ص 308؛ ابن الديبع، 1988، ص 176-187)، وكان يُستدعَى معَ ما بيده من قوة لمساندة الدولة كلّما دعت الحاجة، ولمّا خرج سعيدٌ الأحول النجاحيّ من زبيد بجيشه طامعا في القضاء على دولة الصليحيين وانتزاع حاضرتها (ذي جبلة وحصن التعكر)، كتبتْ مُدَبِّرَة الحُكم الملكة سيدة [أروى] بنت أحمد إلى عمران بن الفضل في صنعاء تأمره بالسير بالفرسان والرجال لِيَخْلُفَ سعيدًا الأحول في زبيد، ثم يتبع أثرَهُ مَنْزلا فمَنْزلا ففعلَ، حتى أطبقَ جيش الصليحيين علَى سعيدٍ الأحول تحتَ حصنِ الشَّعِرِ، وجرت معركة حامية قُتِلَ فيها الأحول وأسِرتْ زوجته (اليمني، 1985، ص 117).

عزل الصليحيون عمرانَ بن الفضل عن ولاية صنعاء، فجاء إلى مقرِّ المكرم بحصن التعكر، لكنّ أبوابَ الحصن سُدَّتْ في وجهه، وربما كان ذلك بسبب الحالة السيئة التي كان عليها المكرم في مرضه، فغضبَ عمران وأنشأ قصيدةً يعاتبُ فيها الملكَ المكرمَ، وابنَ عمه الأميرَ سَبَأ بن أحمد بن المظفر الصليحي (الأنف، 2019، ص 308-309)، قائد جيوش الدولة في المناطق الشمالية الغربية، وسنوردُ ما بقي من أبيات تلك القصيدة في القطعة رقم (ق2) فيما تبقّى من شعره.

لكن الملكة الصليحية سيدة بنت أحمد لم تُفَوِّت فرصةَ وصوله إلى ذي جبلة، حتى استقبلته بما يليق به من التكريم، واسترضته وأعادته واليا على ولاية صنعاء كما كان، ثم لم يمضِ غير وقتٍ قصير حتى تمّ إعلانُ موتِ الملك المكرم سنة 477هـ (الأنف، 2019، ص 302؛ الأنف، 1983، ص 25) وتنصيب ولده علي بن أحمد المكرم ملكا برعاية أمّه الملكة القابضة على زمام الأمر، وظلَّ عمران بن الفضل من مستشاريها، ومِن أشدِّ رجال دولتها (الشامي، 1987: 1/475).

وفاته:

توجّه القاضي عمران بن الفضل إلى زَبيد مقاتلا تحت راية الأمير أبي حِمْيَر سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، قائد جيش الدولة الصليحية في المنطقة الشمالية الغربية، وكان مقرُّه في حِصْنِ أَشْيَح (المقحفي، 2002: 1/75)، لمهاجمة جَيَّاش بن نجاح في مدينة زَبيد وجرتْ بين الطرفين معركةٌ شديدة عُرِفتْ بمعركة (الكَظائِم)، قُتِلَ فيها القاضي عمران بن الفضل بطعنةٍ من الشريفِ يحيى بن حمزة بن وهاس، الذي أقبلَ من المخلاف السليماني (حرض وما جاورها) نَجْدَةً لجياش، وذلك في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة: (479هـ) (الأنف، 2019، ص 165الأنف، 1988، ص 26).

ترك القاضي عمران بن الفضل الهمداني لأبنائه وأحفاده مجدًا وشرفا، جعلهم في مقدمة قومهم، مدة من الزمن بعد ذلك.

نفوذ أولاده وأحفاده:

ربما شَعر الصليحيون أنّ عمران بن الفضل الهمداني كان يشكِّل خطرا على بقاء سلطتهم، لِمَا كان فيه من أنفة وكبرياء ومنزلة عالية بين قومه، لذلك حاولوا عزله عن ولاية صنعاء خوفا من اتساع نفوذه، لكنه أفسد خطة تَنْحِيَتِه، وعزّز موقفَه، عندما توجه إلى مقرِّ حكمهم في (ذي جبلة)، وقال كلمته القوية كما سنلاحظها في الأبيات التي بقيت من قصيدة أنشأها ساخطًا على رَدِّهِ عن مقابلة الملك المكرم من باب حصن التعكر، ولا شك أنّ تلك القصيدة كانت قد وصلت إلى الملكة سيدة بنت أحمد الصليحية، فعمِلتْ على استرضائه، وإعادته إلى منصبه على رأس ولاية صنعاء، لكنّ المدة لم تطل، حتّى وقع قتيلا في معركة الصليحيين مع النجاحيين في زبيد، كما رأينا.

أصبح أحمد بن عمران رئيسا لهمدان من بعد أبيه، ثم غدا حفيده حاتم بن أحمد حاكما لمخلاف صنعاء، مستقلا به بعد عام من وفاة الملكة سيدة بنت أحمد الصليحية، وأسّس فيه الدولة الحاتمية التي دامت ستة وثلاثين عاما (533-570هـ)، وعاشت تلك المدة بين كرٍّ وفرّ مع الإمام أحمد بن سليمان القادم من صعدة، حتّى استولت الدولة الأيوبية القادمة من مصر

بقيادة توران شاه شقيق صلاح الدين الأيوبي على اليمن، وحاول الأيوبيون كسر شوكة الحاتميين الذين كانوا يتحصنون بالحصون المنيعة، وأبرزها حصن (ذي مرمر) إلى الشمال الشرقي من صنعاء، ولما اشتدت غلبة الأيوبيين رضخ الأمراء الحاتميون، وتصالحوا معهم وعملوا في جيشهم، واضمحلت سلطة الأيوبيين، فورثتها الدولة الرسولية التي حكمت اليمن (626-858هـ) (الخزرجي، 1983؛ ابن الديبع، 1988، ص 405) فعمل الحاتميون مع الرسوليين خلال القرن الأول من عهدهم، واستمَرّ فيهم الشعراء الفصحاء والفرسان الأشداء، الذين كانت لهم أدوار في الحياة السياسية في اليمن، وقد سبقت الإشارة إلى جمع ما بقي وأتيح من أشعارهم وأخبارهم.

ما بقيَ من شعر عمران بن الفضل الهَمْداني:

(ق1) (الأنف، 2019، ص 101) [الخفيف]

1	غـــالَ صـــبْري فِـــراقُ ذي المَجْـــدَيْنِ	وحَمَـــانِي الكَـــرَى وأسْـــهَدَ عـــيني
2	صـــاحِ إنَّ النَّـــدَى ونَجْـــلَ علِـــيٍّ	سَكَـــنا مِـــن ضـــريحِهِ لَحْـــدَيْنِ
3	مـــا رأيْـــنا ولا سَمِعْـــنا بقـــبْرٍ	قَـــبلَ هـــذا مُضَمَّـــنًا شخـــصَيْنِ
4	وعلـــيٌّ لـــولا علـــيٌّ وأسْـــمَا	ءُ ومنصـــورُها وذو السَّـــيفَيْنِ
5	والتأســـيِّي بأحْـــمَدٍ وبنيـــهِ	وعلـــيٍّ وشَـــبَّرٍ وحُسَـــيْنِ
6	لَسَكَنْـــتُ الضـــريحَ أو رُحْـــتُ أرْضـــاً	غيـــرَ أرضـــي أهِـــيمُ فـــي الخافِـــقَيْنِ

المعنى:

هذه الأبيات هي ما بقي من قصيدة عمران في رثاء الأمير محمد بن الملك علي بن محمد الصليحي الملقب بـ (الأعزّ) (الأنف، 2019، ص 98-100).

ب1- غالَ: الغيلة: إيصال الشر والقتل إلى المغتال من حيث لا يعلم (ابن منظور، 1988). و(فراقُ ذي المجدين): فاعل قوله: (غال صبري)، وفاعل قوله: (حماني الكرى)، وكذا قوله: (أسهد عيني)، وأراد الشاعر بـ(الفراق) في البيت الموت، وذو المجدين هو الفقيد الأعزُّ ابن الملك علي بن محمد الصليحي، وكان والده قد ولاه زبيدَ وما والاها بعد وفاة خاله أسعد بن شهاب، بعد اغتيال حاكمها نجاح، لكن الأمير الأعز ما لبث أن مات بعد مدةٍ قصيرة من تنصيبه.

ب2- صاح: أسلوب نداء للصاحب، على طريقة العرب في ذلك، وجعل الشاعر النَّدى رفيقا للأمير ابن الملك لا يفارقه في حياته، ولا بعد مماته، ومن ثمَّ ادعى الشاعر أنّ ضريحًا واحدا قد ضمهما، فالأمير والنَّدى (الكرم البالغ) في لحدين متجاورين في ضريح واحد.

ب3- يذهب الشاعر إلى الإغراق والمبالغة في تفرد الأمير باصطحاب الكرم حتى في الإخفاء بالموت في قبر واحد، ويستغرب أنْ يثويا معا كشخصين متشابهين في قبر واحد، وهو بهذا يناقض ما يعرفه من قول أبي العلاء المعري (1957، ص 7):

رُبَّ لَحْدٍ قد صار لحدًا مرارا ضاحكٍ مِن تزاحُمِ الأضدادِ

وذلك التناقض نوع من الادعاء الشعري على طريقة ما سُمي بـ"تجاهل العارف" وهو من المحسنات المعنوية عند البلاغيين، وهو: «سَوْقُ المَعلوم مَساق المجهول، لِنُكتة تُقصَد لدَى البُلغاء» (مطلوب، 2007، ص 256-258)، والنكتة التي قصدها الشاعر هنا هي ادّعاء الجهل رغبة في الإثارة والاستغراب.

ب4- أراد الشاعر بعليّ في البيت الرابع: الملكَ عليَّ بنَ محمد الصليحي مؤسسَ الدولة الصليحية، وبأسماءَ: أسماءَ بنتَ شهاب زوجَ الملك علي بن محمد الصليحي، وهي أمُّ الأمير الأعز (الفقيد)، وكان أكبر من أخويه أحمد الملقب بالمكرم وبذي السيفين، والأصغر منصور، وهم المذكورون في البيت، ويزعم الشاعر أنه لولا تأسِّيهِ بما رآه من ثبات الملك وزوجه وصبرهما وما يراه من نجابة ابنهما منصور وذي السيفين لمات حزنا، وكانت أسماء بنت شهاب الصليحية امرأةً ذات عقلٍ راجح، ومقدرةٍ على تدبير الأمور، مساعدةً لزوجها الملك(السجلات المستنصرية، 1954، ص 33).

ب5- يمتد مشروط (لولا) في البيت الرابع إلى ما ذكره الشاعر في البيت الخامس من التأسي بموقف أحمدَ والمراد به هنا رسول الله محمد ﷺ من وفاة أولاده الطيب والقاسم وإبراهيم، وقد فارقوا الحياة والرسول ﷺ يشهد وفاتهم، وتدمع عيناه حزنا على كل واحد منهم، لكنه كان يصبر ويحتسبﷺ، وفي الشطر الثاني من البيت يشير الشاعر إلى وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومِن بعده ولده الحسن رضي الله عنه وأشار إليه بـ(شَبَّر) وكذا بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهم، وأنَّ تلك المصائب السالفة كانت مثلا للتأسي وبقاء ذوي المُصاب مع ذلك الفقد الأليم، إذ لو لم يتأسَّ الشاعر بالفاقدين من المذكورين لكان قد نزع ثوبَ الصبر وقتل نفسه حزنا على فقد الأمير الأعز، أو لَطاشَ هائما في الأرض بين الخافقين، المشرق والمغرب لا يلوي على شيء.

(ق2) (الأنف، 2019، ص 309؛ الأنف، 1983، ص 33) [الطويل]

1	ولا تَجْرحَـــا بـــالعزلِ أكبـــادَ مَعْـــشَرٍ	إذا غضـــبوا عَـــلَّ القـــنا وتكـــسَّرا
2	فلـــو أنَّ مولانَـــا مَعَـــدًّا أتاكُمَـــا	بِعَـــزْلٍ تَـــولَّى الكـــلُّ منَّـــا وأدْبَـــرا
3	ولا تَفْـــرُقَا مَـــنْ لَـــقَّهُ والـــداكُمَا	وعُـــودا إلَـــى عَقليْـــكما وتدَبَّـــرا
4	وإنْ أنتمـــا أنكرتُـــمَا مـــا نَظَمْتُـــهُ	فصِـــدْقِي غـــدًا مـــن طلعـــةِ الشـــمسِ أشـــهَرا

مناسبة النص:

ذكر إدريس الأنف سبب القصيدة التي وجهها عمران بن الفضل إلى الملك المكرم وابن عمه الأمير سبأ بن أحمد الصليحي، وأورد هذه الأبيات منها، فقال: «وأمَّا صنعاء فإنه كان المكرم أحمد بن علي الصليحي ولَّى فيها القاضي عمران بن الفضل اليامي أيَّام سُكُون الصليحي في ذي جبلة والتعكر، ثم عزله عنها، وكان ذلك من الأسباب التي كانت بها المباعدة بين عمران بن الفضل والداعي المكرم، وفي ذلك يقول القاضي عمران بن الفضل اليامي يخاطب الداعي المُكرم أحمد بن علي الصليحي، والأمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي من قصيدة يقول فيها» (الأنف، 2019، ص 308-309) وأورد الأبيات.

المعنى:

هذه الأبيات من قصيدةٍ قالها عمران بن الفضل الهمداني، محذِّرا الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي، وابن عمه الأمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي - هذا الأمير الذي كان كما يبدو يشرف على عامل صنعاء للمكرم- من مغبة عزله عن ولاية صنعاء، وحاول رفضَ أمرهما، وأظهر لهما غضبه الشديد مما قاما به، وأوصل الأمر إلى حدِّ التهديد بالثورة في وجههما؛ فقد توالت النواهي في الأبيات والأوامر من هذا الشاعر الفارس القائد ذي الأتباع الأقوياء فقال:

«ولا تَجْرحَا بالعزلِ أكبادَ مَعْشَرٍ إذا غضبوا عَلَّ القنا وتكسَّرا»

أراد بالمعشر هو نفسه وقومه، الذين كانوا السند القوي لدولة الصليحيين، وحذرهم غضبه وقومه، فغضبهم تنتج عنه الحرب، حتى (تعلَّ) تشرب الرماح (القنا) من دماء عدوهم.

وزعم أنه لو جاءَ أمرٌ من ولّيهم الخليفة الفاطمي المستنصر بعزل المكرم عن مُلْكِ اليمن، لغضبَ هذا الفارس الشاعر وقومُه، وتولوا عن القبول بذلك بالعزل، أنفةً ونصرا للمكرم.

وينهاهما عن التخلي عن الرجال الذين قربهم (والداهما) وقصد بوالديهما؛ الملك علي بن محمد الصليحي وزوجه أسماء بنت شهاب، تحت علَم دولتهما الصليحية، ويدعوهما إلى الرجوع عن قرارهما بعزله، وأنْ يتدبّرا العواقب، ذلك لأن عزله سيعني أنّ دولتهما ستخسر القوة التي اكتسبتها بضم القاضي الشاعر الفارس عمران بن الفضل ومن معه من قومه إليها، وسينكشف غطاؤها القوي.

وفي البيت الرابع تهديد ظاهر بالعصيان والتمرد، قال:

«فإنْ أنتما أنكرتُمَا ما نَظَمْتُهُ - فصِدْقِي غدًا من طلعةِ الشمسِ أشهَرا»

إذ إنه سيخلع ثوب طاعته عنهم وينقلب عليهم، وربما يسعى إلى تأسيس إمارةٍ لقومه في صنعاء وما والاها، وهذا ما أظن أن الملك المكرم والسيدة أروى الصليحية ومعهما ابن عمهما سبأ بن أحمد قد أرادوا أن يستبقوا عمران إليه بعزله عن ولاية صنعاء، وحدث بالفعل ما خافوا منه عندما ضعفت الدولة الصليحية بعد ذلك، إذ أقام الهمدانيون ولايةً لهم أصبحت بعد حين بيد حفيد هذا الشاعر؛ حاتم بن أحمد بن عمران، الذي أسس الدولة الحاتمية.

(ق3) (الأنف، 2019، ص 155- 156؛ الهمداني، 1986، ص 138) [الطويل]

1 أَبَـــابَ كُلَيـــبٍ إنَّنـــي لـــكَ هـــاجرُ علَـــى أنَّنـــي داعٍ لِمَـــوْلاكَ شُـــاكِرُ

2 فأمَّـــا بِـــدِينٍ بَابُـــهُ ابْـــنُ هَبَالَـــةٍ ومَأذُونُـــهُ نَجْـــمٌ فَعمْـــرانُ كَـــافِرُ

مناسبة البيتين:

أشار إدريس الأنف إلى أن البيتين من قصيدة طويلة قالها الشاعر الفارس عمران بن الفضل، بعد صدور قرار الصليحيين بعزله عن ولاية صنعاء، وأنه وصل ومعه مجموعة كبيرة من قومه إلى حصن التعكر، فمنعه حراس الحصن من الدخول لمقابلة الملك المكرم الذي كان يعاني شدة المرض، وربما كان مَنْعُ عمران بن الفضل من دخول الحصن بتوجيه من الملكة سيدة (أروى) بنت أحمد الصليحية صاحبة الأمر والقابضة عليه، رغبةً في صرفه نحوها، لِعِلمِها بأنَفَة عمران عن الوصول المباشر إليها.

قال إدريس الأنف: «وأقامتِ الحرةُ الملكةُ الدعوةَ والمُلكَ في جزيرة اليمن، وما والاها من الجهات... وفي إقامة الملك المكرم بحصن التعكر وصل القاضي عمران بن الفضل اليامي إلى باب الحصن، والملك المكرم لِمَا به من العِلَّة، وكان مع عمران جماعة كثيرة، فمنعَه الولاة من دخول الحِصن، وأُمِرَ بالنُّزول إلى (ذي جِبْلَةَ)، وصُرِفَ أمرهُ إلى الحُرَّةِ الملكة، فأصابهُ لذلك كِبرٌ شديد، ووقع معه أمرٌ عظيم -نعوذ بالله من الكِبْرِ المُرْدِي، والهَوَى المُطْغِي- وقال في ذلك قصيدةً طويلةً يَذكُر فيها أفعالَه، وسوابقه مع الملك علي بن محمد الصليحي ووقائعه، وظنّ أنَّ رجوعه برأْي ابنِ هَبَالَة، ونجمِ بن بَشَارة -وكانَا يتوليان خدمَةَ الملك المكرم- فقال في قصيدته المذكورة [البيتين].. [وأضاف:] ولم تطل الأيام، حتى تُوفي الملكُ المكرم في حصن التعكر، سنة: 477هـ» (الأنف، 2019، ص 155- 156).

وبعد وفاة المكرم ورد سِجلّ الخليفة الفاطمي المستنصر بتعيين ولده علي بن المكرم ولد الملكة السيدة (أروى)، ونَسَبَ إليه الصلاحيات الملكية، التي كانت لأبيه المتوفى، وجعله برعاية أمّه، جاء في السجل 48: «وإن كان أمير المؤمنين قد فوَّضَ إلى ولدكِ الأمرَ وارتضاه... فإنه اسْتَكْفَلَكِ بشديده، واستكفاكِ بِنُجْحِ رأيكِ وسديد إيحائكِ بتسْييره للمصالح وإرشادِه، وجعَلَ إليكِ أميرُ المؤمنين معه الحَلَّ والعَقْدَ والإبرامَ والنَّقْض... وكُتِبَ عاشر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأربعمائة» (السجلات المستنصرية، 1954، ص 161-165).

وكنا قد أشرنا إلى أن الملكة تمكنت من استرضاء القاضي الفارس الشاعر عمران بن الفضل وأعادته على رأس عمله في ولاية صنعاء، واستخلص حسين فيض الله الهمداني أنّ «المياه عادتْ إلى مجاريها مرة أخرى بعد وفاة الملك المكرم، لأنَّ القاضي عمران حاربَ النجاحيين في عهد الملكة الحرة، وقُتِل في موقعة الكظائم سنة 479هـ» (الهمداني، 1986، ص 148).

المعنى:

«باب كليبٍ» هو باب حصن التعكر، الذي صدَّ الحراسُ عنده عمرانَ من الدخول ليصل إلى الملك المكرم... وقول عمران: «إنَّني لكَ هاجرُ» أي لن أُعاوِدَ المجيءَ إليك، ولنْ أقربك بعد اليوم الذي صدني فيه حراسُك عن الدخول إليك، «علَى أنَّني داعٍ لِمَوْلاكَ شُاكِرُ»، أراد بمولاه صاحب الأمر الأعلى في ذلك الحصن، وهو الملك المكرم، الذي حُجِبَ عنه، وسأظل أشكر صنائعه، وأدعو الله بأن يعمّه بنعمه، ومنها الشفاء من مرضه، وبقوله هذا لا ينصرف الدعاء إلى غير الملك المكرم المريض في الحصن.

"باب الدين" و"مأذونه" من مصطلحات العقيدة الإسماعيلية، وهي من مراتب السلطة الدينية، الذين يقع في أدناهم أهلُ الإيمانِ والطاعة، وهم مَن يشرفُ عليهم المأذونون المحصورون، وأعلى من هؤلاء المأذونون المطلقون، ويعلوهم دُعاة البلاغ، والأرفع منهم الأبواب، وفوقهم الحُجّة، ويعلوهم جميعا الإمام (الحامدي، 1979، ص 163، 164).

وكأنّ الشاعر القاضي عمران بن الفضل لم يكنْ عندهم بمنزلة من هذه المنازل، وربما كانوا ينظرون إليه على أنّه قائدٌ عسكريّ لحشدٍ من قبيلته، مناصر لهم، كاسِب من عطاياهم، تابع لعقيدتهم من الدرجة الدنيا، فأثاروا حفيظته حتى دوَّت قصيدته بما يجيش في صدره، فعبَّرَ عن تململه من عقيدةِ تلك الدولة التابعة للفاطميين ونهجهم الباطني، أو أنّه كان مغرورًا بها وبدعاويها حينا من الزمن، فلمَّا خَبِرَها عن قُرْبٍ استنار، ولا سيما عندما أرسله الملك الصليحي سفيرا له إلى الخليفة المستنصر الفاطمي، فعاش في القاهرة بعض الوقت، ورأى ما عليه القوم من تأويلات... وربما استنتج أنه غير مؤمنٍ بمقولاتها أصلا، وبلغ الأمرُ مبلَغه من غضبه، فاندفع كالسيل الهادر قائلا:

فأمَّا بِدِينٍ بَابُهُ ابْنُ هَبَالَةٍ وَمَأذُونُهُ نَجْمٌ فَعمْرانُ كَافِرُ

ولأنّ إدريس مؤلّفُ "عيون الأخبار، ونزهة الأفكار" من دعاة تلك العقيدة في القرن التاسع، لم يتمالك نفسه أمام موقف عمران هذا، فقد علق منفعلا بقوله: «ولمَّا "صُرِفَ أمرُه إلى الحُرَّةِ الملكة، أصابهُ لذلك كِبرٌ شديدٌ، ووقَع معه أمرٌ عظيم، نعوذ بالله من الكِبْرِ المُرْدِي، والهَوَى المُطْغِي» كما سبق، ويلاحظ انفعاله أيضا وهو يروي البيت الثاني إذ قال: «نعوذ باللهِ من الكُفر بعد الإيمان، والكِبر والطغيان» (الأنف، 2019، ص 156).

والواقع أنّ عمران لم يدّعِ الكفرَ بدين الإسلام، وإنّما بِمِلَّةٍ فئةٍ في المجتمع الإسلامي تتبنَّى عقيدةً قائمةً على التأويل، بحسب رؤيةٍ مُسبَقَة للكون والإنسان، تذهبُ إلى شراكةِ الأفلاك والكواكب والأئمة في أفعال الربوبية والرعاية للبشر، وأهلُ تلك المِلَّة لا يدَّعون علنًا أنهم أهلُ الحقِّ المُطلَق، ولا يصرّحون جهارًا بأنّ ما سواهم من مِلَلِ الإسلام على ضلال، ولا سيما عندما تكون دعوتهم في دور الستر.

ونحسبُ أنّ عمران إنَّمَا أرادَ أنْ يوصِلَ رسالةً إلى المَلِك المكرَّم مفادُها أنّه يستطيع أنْ يعودَ إلى عقيدة الإسلام التي كانَ عليها قبلَ أنْ يلتقي بالملك علي بن محمد الصليحي، الذي استماله على ما نظن إلى عقيدة الدولة الناشئة ذات الصبغة الإسماعيلية الفاطمية، التي تمتلئُ بيوت المال عندها بالدنانير الذهبية، التي يسيل لها لعاب الأتباع، وأنّه بذلك يمكن أن يخلع ربق الطاعة للملك عنه وعن قومه، فتختل موازين قوّة الصُّليحيين التي بُنِيَت لا على أساسٍ ديني فحسب وإنّما كان بفعل الدينار الذهبي المستنصري الفاطمي وتوظيفه في اكتساب مواطن جديدة ذات نفوذ استراتيجي في اليمن وما خلفها من طرق التجارة وهي التي كانت من قبل ذلك محسوبة في إطار الدولة العباسية.

2- حسين بن عمران الهمداني

هو القاضي الفارس الشاعر حسينُ بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني؛ لم نقفْ على سنة ميلاده ولا سنة وفاته لكنّ الأحداث التي كان له إسهام فيها تثبت أنه عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وامتدّ به العمر إلى الثلث الأول من القرن السادس، ومما يمكن قوله إنه نشأ في ظلِّ والده الفارس والأديب الشاعر القاضي عمران بن الفضل اليامي الهمداني، وتأثّر بملامح شخصيته، إذ كان كما يبدو مُعجبًا بسماتِ بطولاته، ونجدته وفصاحته، وحُسن بيانه، ومنزلتهِ المرموقة في قومه، وعند الدولة الصليحية.

تذكر الأخبار أنّه لما قُتِل والده في زبيد في (سنة 479هـ)، لم يمض غير وقت قصير حتى توجَّه حسينٌ هذا مع أخيه الذي يكبره في السنّ أحمد بن عمران وهما فارسان فتيَّان إلى تهامة، يتحينان فرصة الاقتصاص لوالدهما من الشريف ابن وهاس (الأنف، 2019، ص 206-207؛ ابن الديبع، 1988، ص 190، 191؛ الشامي، 1987: 1/386-387) وتمكّنا من ذلك.

فإذا افترضنا أنّ حسين بن عمران كان حينما خرج مع أخيه إلى تهامة، في مطلع سنة: 480هـ تقريبا، في سِنّ 20 من عمره، فإن تاريخ ميلاده سيكون نحو سنة: 460هـ، أمّا وفاته فكانتْ بعد وفاة الملكة الصليحية سيدة (أروى) بنت أحمد، سنة: 532هـ، ذلك لأنه قال في رثائها قصيدته الوحيدة، التي لم نعثر له على غيرها، وبناءً على تقدير سنة ميلاده فإنَّ عمرَهُ عندما قال هذه القصيدة كان نحوًا من اثنتين وسبعين سنة، وربما وافته المنية في تاريخ قريب من سنة: 533هـ، إذ ضنّت المصادر التي اطلعنا عليها أن تذكر له مشاركة بعد ذلك في الأحداث.

ولما كانت المصادر شحيحة بأخباره فإننا سنتحسس بعض ملامح حياته من خلال دراسة مضمون قصيدته التالية في رثاء الملكة السيدة (أروى) بنت أحمد الصليحي (440- 532هـ) (الأنف، 2019، ص 303؛ الأنف، 1983، ص 31). فالقصيدة تنطوي على بعض القيم التي غالبا ما تنبعث من نفسية الشاعر ورؤيته للحياة والأحداث التي عاشها.

ما تبقى من شعر حسين بن عمران الهمداني:

قال:

(ق4) (الأنف، 2019، ص 305- 306) [الطويل]

1 وقفتُ على قبرِ الوَحِيدَةِ وَقْفَةً ... وقدْ زِينَ منها مَسجِدٌ وسُتُورُ

2 فقَبّلتُهُ واسْتَفْتُ رَيَّا تُرابِهِ ... وعَاوَدَ قَلْبِي رَنَّةٌ وزَفِيرُ

3 وسَالتْ دُموعُ العَينِ مِنّي كأنَّها ... بِشَطِّ مَجَارِي الْمُقْلَتَينِ سُطُورُ

4 فلِلَّهِ منها مَا أقلَّ سَرِيرُها ... ولله منها مَا أجَنَّ حَفِيرُ

5 ولله منها رُوحُ قُدْسٍ تَميَّزَتْ ... فصارتْ بأعْلَى الدَائراتِ تَطِيرُ

6 خَلاَ القصْرُ في ذي جِبْلَةٍ مِنْ مَكَارِمٍ ... يَحِنُّ إليها بَائِسٌ وفقِيرُ

7 ومِن جُودِ بَحرٍ بالعَطايا نَوَالُهُ ... علَى مُعْتَفيهِ عَسْجَدٌ وحَرِيرُ

8 ومِن درْسِ مَا ضَمَّ الكِتَابُ وبعدَهُ ... صَلاةٌ وتَسْبيحٌ مَعًا وطَهُورُ

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

9 ومَـــا سَـــمِعَتْ أذْنـــي ولاَ راعَ ناظِـــري تَجَـــاوُبُ قَيْـــناتٍ بِـــها وخُـــمورُ

10 فأصْـــبَحَ فـــي قَصْـــرِ المَلِيكَـــةِ بعـــدَها عَزيـــزٌ علـــيها مُنْـــكَرٌ ونَكِـــيرُ

11 تَحـــلُّ مُصِيـــباتٌ وتغـــزو نَوَائِـــبٌ وتحْـــدُثُ مِـــن بعـــدِ الأمـــورِ أُمُـــورُ

12 ولـــوْ كـــانَ داعِـــي المـــوتِ يَثْنِـــيهِ دُونَـــها قَبِيـــلٌ ويُنْجـــي مِـــنْ سَـــطَاهُ عَشِـــيرُ

13 لَقـــامَ لـــهُ مِـــنْ حِمْـــيَرٍ كُـــلُّ أرْعَـــنٍ سَـــحَابُ المنايـــا حيـــثُ حَـــلَّ مَطِـــيرُ

14 وســـارَ لـــهُ مـــن صِـــيدِ كَهْـــلانَ جَحْفَـــلٌ تَسِـــيرُ الجبـــالُ الشُّـــمُّ حيـــثُ يَسِـــيرُ

15 ولـــوْ حَـــالَ دُونَ المـــوتِ عنهـــا مُبَـــلَّطٌ مَنِـــيعٌ يَـــردُّ الطَّـــرْفَ وهـــوَ حَسِـــيرُ

16 لَكـــانَ لهـــا فـــي حِصْـــنِ قَيْـــضَانَ مُعْـــقِلٌ تُقَصِّـــرُ عنـــهُ فـــي العُلُـــوِّ طُيُـــورُ

17 ولَكـــنْ أبَـــى إلاَّ خَفِـــيًّا بشَخْـــصِهِ حَقِـــيرٌ ومَـــا يَسْـــطُو عليـــهِ كَبِـــيرُ

مناسبة النص:

قال الشاعر هذه القصيدة في رثاء الملكة سيدة (أروى) بنت أحمد الصليحي، التي أمسكت بزمام الحكم في الدولة الصليحية نيابةً عن زوجها الملك المكرَّم في أثناء مرضه منذ سنة 460هـ حتى وفاته سنة (479هـ)، ثم نيابة عن ولدها الملك علي بن المكرم الذي مات في سن مبكرة بعد والده بسنوات قليلة، وكان أخوه الأصغر محمد بن المكرم قد مات قبله، ثم خُتم مشهد منافستها على المُلك بموتِ الأمير أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، وهو ابن عمٍّ لها وللمكرم، في سنة 491هـ (الأنف، 2019، ص 214)، ثم استقلّت بالحكم حتى وفاتها سنة 532هـ(الأنف، 2019، ص 214).

المعنى:

تعوّد القارئ للشعر العربي على أن يرى في مستهل كثير من القصائد الوقوف على الديار الداثرة بعد ارتحال أهلها، أما في مُسْتهلّ هذه القصيدة فقد وقف الشاعر عند بنيانٍ مَشيدٍ هو عبارة عن مسجدٍ كبير كانت الملكةَ سيدة (أروى) بنت أحمد الصليحي قد شَيَّدته، وجعلته مَعْلَمًا بارزا بالقرب من قصرها الشامخ ومقرّ حكمها بذي جبلة قرب مدينة إبّ الحالية في اليمن، وما زال ذلك المسجد عامرًا بالمصلين والزوار حتى عهدنا هذا، وفي رُكْنٍ منه جعلتْ قبرها المزين بالسُّتور.

هنالك وقف الشاعر راثيا باكيا تلك الملكة، التي وُصِفت في حياتها بأنها «كاملة المحاسن، جهورية الصوت، قارئة كاتبة، تحفظ الأشعار والأخبار والتواريخ» (اليمني، 1985، ص 113؛ الأنف، 2019، ص 294)، رؤوفة بالناس، تحقق ما تريد بحسن التدبير، ولا ينقصها الحزم عند الضرورة.

تدل القصيدة بشكل عام على أنّ الشاعر كان يُجِلُّ الملكة ويعظِّمها، لذلك زعم في الأبيات 1-3 أنّ الملكة كانت وحيدةَ زمانها في المُلْك، لا نظير لها بين النساءِ دهاءً وحُسْنَ سياسةٍ، وطيبَ معاملة للمقربين والبعداء، وبعد رسم الشاعر للواقفة والموقوف عليه، بيّن موقفه إزاء الحال، فقَبَّلَ القبرَ حزنا وإجلالا للمقبورة فيه (الملكة)، وإشفاقا على نفسه الفاقدة بإزاء شخصها المُغَيَّب عن عينه، تلك الملكة التي كان يلقَى منها التكريم والعطاء ويقدِّر أنها مصدر للخير والبر والتقوى، لما كان لها من قدرة وفطنة قيادية للسلطة السياسية والدينية في البلاد، وكأنّا بها قد فَعَّلَتْ ذكاءَها العاطفي الأمومي مع ما كانت تتسم به من حزم وقوة، فشملت بذلك الناس في وطنها، ولاسيما مَن اقترب منها.

ولذلك لم يقف الحال بالشاعر الذي مثّل رمزا للولد البارّ عند الاكتفاء بتقبيل دار مقام الملكة، وإنما أخذ يشمُّ ترابَ الضريح بلهفةٍ وتعطش، ورغبة في الامتلاء من ريّا ذلك التراب المعطر بالمسك شكلا، المرغوب احتضانه معنًى، «فقَبّلتُهُ واسْتَفْتُ رَيّا تُرابِهِ»، ولم يقف به الحال عند ذلك، وإنما أخذ يُخرِج من صدره الرنّات الباكية، والزفرات الأليمة، معبّرا عن فقد تلك الأمومة الحنونة «وعَاوَدَ قَلْبي رَنَّةٌ وزَفِيرُ»، ثم تطور الحال به إلى البكاء الصريح، الذي تعبّر عنه العيون بتدفق دموعها الغزيرة، «وسَالتْ دُموعُ العَينِ مِنّي كأنَّها بِشَطِّ مَجَارِي الْمُقْلَتَينِ سُطُور».

وفي البيتين 4 و5 يتعجب الشاعر من علوّ مكانة السيدة الملكة، بقوله: «فلِلَّهِ منها مَا أقلَّ سَرِيرُها» أقلَّ: حَمَلَ، سريرها: عرشها، أي كرسي ملكها، عندما كانت على قيد الحياة، ويكمل البيت بقوله: «ولله منها مَا أجَنَّ حَفِيرُ» بالتعجب من مكانتها وهي في الحفير (القبر)، الذي أجنَّ: أخفاها، وقال: «ولله منها رُوحُ قُدْسٍ تَميَّزَتْ، فصارتْ بأعْلَى الدَائراتِ تَطِيرُ» وهذا تعجبٌ من روحها التي تخيَّلها متخلِّصةً من حبس الجسد، متميزة عنه، فحلَّقت طائرة في الجِنان.

الأبيات 6-11: انثنى الشاعر في البيتين 6-7 يتحدث عن فاجعته بما حلَّ بقصر الملكة الذي تغير حاله بموتها، لقد كان بوجودها محفوفا بالفضائل مشتملا على مجامع المكارم والمحاسن، حيث كان مصدرا للنِّعَمِ العَيْنِيَّةِ والمالية، التي كانت تفيضُ على الفقراء والبائسين المحتاجين، فتُشبع حاجاتهم وتغنيهم عن السؤال، وكان ذلك كالبحر يفيض بالعطاء على طالبي الجود من الشعراء والمادحين وغيرهم.

وفي الأبيات 8-11 يتعجب الشاعر مما كان يلاحظه في قصر الملكة في أيام حياتها إذ كان لا يسمع فيه صَخَبًا ولا طربا، ولا قرعًا لآلات الموسيقى ولا غناء، ولا عَلِمَ بشرب خمرٍ ولا عَمَلِ سوء، وما كان يشهد فيه إلّا دويَّ تلاوة القرآن، والصلاة والتسبيح، مع ما يحيط بذلك من الحشمة والطهارة في الثوب والبدن، وهنا يبدو أن الرجل كان مُقَرَّبًا من الملكة، يحضر مجالسها؛ أديبا مع الأدباء، وعالما بين العلماء، وقاضيا بين القضاة، بل ربما كان من أقرب مستشاريها، وكانت تلك الصفات المنيفةُ ترضي نفسه الوقورة، التي كانت تلتقي مع ما يراه ويلمسه من صفاءِ خُلُقِ الملكة المبجَّلة، وربما نالَ من كرمها المتَّصل ما جعلَ لسانه يلهج بالثناء عليها في حياتها وبعد وفاتها، وهو حزين مما حدثَ بعد موتها مما كانت تأباه، ويعزُّ عليها أنْ ترضاه، إذ كما يبدو تفلَّت اللهو في القصر من عقاله، وخرج منه ما لم يكن معهودا في أيامها، والملاحظ أنّ الشاعر كان معجبا بما يراه من تقوى الملكة وفضائلها، وأنه أخذ يسخط على ما لمسه مما حدث بعدها مما يراه من المنكرات، التي قام بها الذين صار إليهم الأمر بعدها.

وفي الأبيات من 12-17 يصف الشاعر الحدثَ الذي يراه تحدِّيًا لا يمكن الوقوف أمامه، إنه حدثُ موت الملكة التي كان يعمل على ما يبدو تحت رعايتها، فداعي الموت هو الداعي الذي لا يثنيه عن مقصده مُحِبٌّ، ولا يدفعه إلى هدفه شانئ، لا قبيلة ولا عشيرة، كما زعم الشاعر في ب12، فهو بزعمه أعتى من أن يردّ، أمّا لو كان يمكن ردُّه ب13 لتصدَّى له أقيالُ حِمْيَر وأبطالُها، الذين شهدت لهم الأحداث بأنهم رواد النصر، وأهله أينما ذهبوا، كما تحكي الأخبار، أو لخرج لملاقاته جحافل الأبطال أهل الأصالة والشموخ من قبائل كهلان العصيّة، ب14، أمّا لو كانت القلاع والحصون التي في ذُرَى الجبال الشوامخ تصدُّ داعي الموت ب15، ب16 «لكان لها من حصن قَيْضَانَ معقلٌ» و(قيضان) أحد حصونها التي تتسنم الجبال الشامخة العلوّ، القريبة من مقر دولتها بـ(ذي جِبْلَة)، ذلك الحصن الذي تستبعد الطيورُ الوصول إليه كما يدعي الشاعر نظرا لارتفاعه الشاهق، وبُعْده عن الأعداء، ب 17، لكنَّ الذي جعل الموتَ يصل إليها، أنّ سَبَبَه (حقير) بزعم الشاعر، أي أنه لا يُرى ولا يُلمس، ولذلك لا يقدر أحدٌ على صدِّه.

3- نصربن محمد بن أحمد بن عمران

نصر بن محمد بن أحمد بن عمران، هو ابنُ أخي السلطان حاتم بن أحمد (533-556هـ)، وكان كما يبدو يسيرُ في رِكابه، فارسا وشاعرا، له قصيدة يذكر فيها الخيل، قال الخزرجي في معرض ذكره لخيل السلطان حاتم بن أحمد: «ولمْ يجتمع [من] عِتاقِ الخيل وجيادها مثل ما اجتمع معه، وفي ذلك يقول ابنُ أخيه نصر بن محمد بن أحمد بن عمران من قصيدة» (الخزرجي، 1981، ص 74) وأورد الأبيات، وهي أبيات يتيمة عندنا، إذ لم نجد في المصادر المتاحة من شعر هذا الشاعر سواها، وبالنظر إلى ما يشير إليه كلام الخزرجي في نهاية عبارته من أن هذه الأبيات ما هي إلا قطعة من قصيدة، ربما كانت طويلة ومعروفة لدى الخزرجي، لكنه وهو المؤرخ لا يورد إلا ما احتاج إليه ليدلل على حدث أو يبرهن على مسألة أو يحتج لقضية، وسنورد تلك القطعة في مكانها تاليا.

ومما يبدو لنا أنّ الشاعر نصر بن محمد كان معنيًّا بخيل عمّه السلطان حاتم بن أحمد، وذلك لأنه يعرف أسماءَها وطبائعها، وكأنه كان يألفُها بصفته فارسًا من فرسانها، لذلك حرص على ذكرها، والفخر بأدائها عن تجربة وممارسة، وربما كان من القادة المقدَّمين في جيش عمه السلطان حاتم بن أحمد.

ما تبقى من شعر نصربن محمد بن أحمد بن عمران:

(ق5) (الخزرجي، 1981، ص 74) [الكامل]

1	[فـ]إلـــى الصَّـــريحِ وناصـــحينَ وســـابقٍ	والبَحْـــــرِ والخَطَّـــــارِ والهَطَّـــــالِ
2	والرَّازِقـــــيِّ وسابقَيـــــنَ وفائِـــــقٍ	والحصْرَمـــــيِّ ولاحِـــــقٍ ونبَـــــالِ
3	والجـــــونِ والرَّسِّـــــينِ، كـــــلِّ مَسَـــــوَّمٍ	أُجُـــــدِ الخَبُـــــوبِ لواحـــــقِ الأبطـــــالِ
4	نُجُـــــلِ العُـــــيونِ، تنَاجَلَتْـــــها سُبَّـــــقٌ	تُعْـــــزَى إلـــــى القيَّـــــامِ والـــــذيَّالِ
5	كـــــلُّ ابْـــــنِ ســـــابقةٍ نِيـــــاطَ لِجَـــــامِهَا	فـــــي شـــــامِخٍ أو شـــــاهقٍ مُخْـــــتالِ
6	يُـــــدعَى بأوْصَـــــافِ الكَرامَـــــةِ دائـــــمًا	ويَظَـــــلُّ فـــــي الأظْـــــلالِ غيـــــرَ مُـــــذالِ

المعنى:

يبدأ الشاعر في الأبيات الثلاثة الأولى برصد أربعةَ عشرَ أسمًا من أسماءِ خيل السلطان حاتم الشهيرة، وثنَّى بوصفها؛ بأنها من الخيل المُسَوَّمَة أي المُعْلَمة بعلامات تميزها عن غيرها من حيث العتق والنجابة، وربما كان يشير إلى ما خاضه عليها هو وفرسانها من انتصارات، ويتابع وصفه لها بأوصاف العتق والجمال، فهي (الخبوب)، أي ذات القدرة على السير السريع، وأنها لواحق لطرائد الصيد من وحْشِ الفلاة وللأعداء حين تطاردهم، ثم يتلفت إلى أوصافها الشكلية والمعنوية، فهي (نُجُلِ العُيونِ)، والعين النجلاء هي الواسعة الحسنة، توارثتها من آبائها وأمهاتها (تناجلتها): النَّجْلُ: الولد، والمراد: تناسلتها، (سُبَّقٌ): صيغة مبالغة من سابق وهو الذي يسبق غيره في مضمار السباق، وطرق الفيافي والجبال، (تُعزَى): تنسب، و(القيّام والذيال): من أسماء الخيل، فـ(القيام) هو الفرس الذي يقوم بالمهمة على خير وجه، و(الذيال): الفَرَس الطويلُ القدِّ الطويلُ الذيل، المتبختر في مشيه، وربما كان الشاعر يتحدث عن سلالة الخيل المشهورة عند آبائه. ب5 (كلُّ ابْنِ سابقةٍ نِياطَ لِجَامِهَا) نياط

اللجام من النَّوْطُ: وهو المُعَلَّقُ من كلّ شيء، والمقصود هنا سير العنان، والفرس يسبق نياطَ لجامهِ؛ كناية عن شدة سرعته، وتكون سرعتها أعجبُ عندما تكون (في شامخٍ، أو شاهقٍ مُخْتالِ) أي عند تَسَلُّقِ الجبال الشامخة الشاهقة بحذق ومهارة، كما لو أنها في السهول. ب6 المراد به: أنّ كلَّ فرسٍ مما ذكر الشاعر يُكْرَمُ في حال الحرب والسباق، ولا يذلّ في حال السِّلْم وإنما يعيش في ظلال وارفة.

4- **أحمد بن محمد بن حاتم الحاتمي**

كذا أورد إدريس عماد الدين الأنف اسمَ هذا الشاعر مع لقبه "الحاتمي"، وهذا اللقب يشير إلى أنه من أحفاد السلطان حاتم بن أحمد بن عمران (الأنف، 1983، ص 66؛ الهمداني، 1973، ص 343)، ومما يؤكد أنه من أحفاد حاتم بن أحمد بن عمران أيضا ما أورده صاحب السمط الغالي الثمن من أنّ بني حاتم بن أحمد بن عمران في حصن ذي مرمر اختلفوا في شأن إيواء الأمير أسد الدين -والي صنعاء السابق وابن عمّ السلطان المظفر الرسولي- إلى فريقين: فريق لا يرغب في إيوائه في الحصن، وفريق يرغب في إيوائه متحديا طلبَ السلطانِ المظفر الرسولي له، ومن هنا فهذا الشاعر الحاتمي لا يعدو أنْ يكون أحد رجال الفريق الذي كان يرغب في إيواء أسد الدين، ولمَّا غلب الفريق الذي منعه من دخول الحصن، وترجّح أنه سيصل إلى السلطان، عبّر هذا الشاعر عن خوفه عليه من بطش السلطان بالقصيدة التي بقيت من شعر هذا الشاعر، وجعلتنا نلحقه بهذه الثلّة من شعراء هذه الأسرة، وإن تأخَّر زمنه قرنا عن زمن جده السلطان حاتم بن أحمد بن عمران.

لم نقف لهذا الشاعر على تاريخ وفاة، وإنما وقفنا على تاريخ قصيدته التي قالها في أواخر سنة (658هـ)، وهي يتيمة عندنا لأننا لم نحصل مما بقي من مآثر شعرية له على شيءٍ غيرها، وليست في كتاب مطبوع، وإنما وجدناها في مخطوطة نزهة الأفكار وروضة الأخبار لعماد الدين إدريس الأنف، الذي قدم لها بقوله:

«**ما بقي من شعر أحمد بن محمد بن حاتم الحاتمي:**

(ق6) (الأنف، 1983، ص 66، 67) [الطويل]

1	نَقُـولُ ولَـمَّا نَـدْرِ كيـفَ نقـولُ	وقـد ذُهِـلَتْ مِنَّـا عليـكَ عُـقولُ
2	أفِـقْ أيُّـها الـمَلْكُ الجَـوادُ ولا تَـنَمْ	وفَـكِّرْ بِعُقْـبَى الأمـرِ كيـفَ يَـؤُولُ
3	فإنَّـكَ صُـلْبٌ للأمـورِ مُجَـرِّبٌ	حكـيمٌ قَـؤُولٌ صـادِقٌ وفَعُـولُ
4	ولا تُطِـعِ الأهـوَا التـي مَـنْ أطاعَهـا	فيُوشِـكُ أنّ الخيـرَ منـهُ يَـزُولُ
5	تـأَنَّ ولا تعجـلْ فقـد مـدحَ الـوَرَى	فتًّـى ذا أنـاةٍ ثـمّ ذُمَّ عَجُـولُ
6	وإنْ ضِـقْتَ ذَرعًـا إذ نـأى عنـكَ صـاحِبٌ	وشـطَّتْ ديـارٌ أو جَـفاكَ خليـلُ
7	حَنانَـيْكَ بعـضُ الشـرِّ أهْـونُ للفـتَى	مِـنَ الشـرِّ جمـعًا، والأبَرُّ[يـدولُ]
8	تـأَنَّ لأضْغَـانِ المُظفِّـرِ فـهو لا	يُقِيـلُ مُدلّـى، بالحُسـامِ يَصُـولُ
9	ألـمْ تـرَ فـي مُوسَـى سَـليلِكَ فِعْـلَهُ	علَـى ذِمَّـةٍ والعَفْـوُ منـه قَبِـيلُ
10	وإنَّ ببـدرِ الـدينِ أعظـم أُسْـوَةٍ	وبالفَخْـرِ قـد غَالتْـهُ قبلـكَ غُـولُ
11	أَعِـدْ نظـرًا يَـا بْـنَ الرسـولِ فـرُبَّما	يُـوافيكَ مِـن نصـرِ الإلَـهِ رسـولُ
12	ولا تلْـفَ يـا بـنَ الصِّـيدِ نفسَـكَ في الـرَّدَى	وفي الأرضِ ذاتِ العُـرْضِ حيـثُ تَطُـولُ

13 فإنـكَ قـد جـرَّبْتَ يوسـفَ قبـلَ ذا مِـرارًا بهـا فـيمَنْ تحـبُّ يَغُـولُ
14 وجرّبـتَهُ فـي كـلِّ عَهْـدٍ وذِمَّـةٍ حـديثُكَ فيهـا للأنـامِ يَطـولُ
15 فـإنْ رُمْـتَ عطـفًا منـه إمَّـا برحمـةٍ وإمَّـا بأرحـامٍ فـذاكَ قَلـيلُ
16 فرحمَتُـهُ للبـدرِ أولَـى لأنَّـهُ أبـوهُ إذا عُـدَّتْ هـناكَ أصُـولُ
17 أتـاهُ يُـداوي داءَهُ فـي بـلادهِ فَسُـدَّ عـليهِ فـي الـبلادِ وُصُـولُ
18 فـلا رَحِـمٌ ردّتْ علـيهِ فتَرْتَجِـي عواطِفَـهُ، فَكِّـرْ، أوَ انْـتَ جهُـولُ».

مناسبة النص:

قوامُ هذه القصيدة 18 بيتا، وموضوعها تحذيرٌ وجّهَه الشاعرُ أحمد بن محمد بن حاتم للأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي رسول خوفا عليه من تسليم نفسه للسلطان المظفر يوسف، سلطان الدولة الرسولية في اليمن (647-694هـ) وكان المظفر قد أمسك بزمام الحكم بعد اغتيال والده السلطان نور الدين عُمر بن علي بن رسول، الذي أسس تلك الدولة سنة (626هـ) وامتد حكمه حتى سنة (647هـ).

كان أول أمر نور الدين تبعا لأبيه الذي كان قائدا في جيش الأيوبيين في اليمن، ثم غدا واحدا بين إخوته الأربعة الذين نالوا مراتب عليا في ذلك الجيش، وولاهم الملك الأيوبي بعض المناطق منها صنعاء وذمار ووصاب، وكان ذلك قريبا من آخر عهد الدولة الأيوبية في اليمن، التي حكمت ما بين سنة 569هـ و 626هـ، وكان آخر ملوكهم المسعود الأيوبي، الذي خاف من سطوة أولاد علي بن رسول علَى الملك، فحمل بالقيود إلى مصر، منهم بدر الدين الحسن بن علي بن رسول، والد أسد الدين الذي جاءت القصيدة لتحذيره، وفخر الدين أبو بكر بن علي بن رسول، وأبقى على أصغرهم وهو نور الدين عُمر بن علي بن رسول، ثم جعله نائبا له على مُلْكِ اليمن، وخرج الملك المسعود من اليمن نحو مصر، لكنه مات في مكة، فقام نور الدين عُمر بن علي بن رسول بتأسيس الدولة الرسولية سنة 626هـ، وكان بعض أولاد إخوته معه، فعيَّن منهم قادةً لبعض نواحي البلاد، أبرزهم أسدُ الدين محمد بن بدر الدين حسن، عيّنه واليًّا على مخلاف صنعاء سنة 627هـ(الهمداني، 1973، ص 202، وص253).

وظل فيها حتى حدثَ قَتْلُ السلطان نور الدين على يد بعض مماليكه في مدينة الجند بتعز سنة (647هـ)، و«سار المماليك بأجمعهم إلى محروسة زَبِيد، ثم ساروا إلى فشال، وكان فيها الأمير فخر الدين أبو بكر بن الحسن بن علي بن رسول مقطعًا لها من عمه السلطان نور الدين.. فلقَّبوه بالملك المُعَظَّم، وحلفوا له وقصدوا مدينة زبيد» (الخزرجي، 1983: 87/1)، لكنَّ المظفر يوسف بن السلطان نور الدين عُمر تمكَّن من الإمساك بمقاليد أمر الدولة (647-694هـ)، خلفا لوالده، وحصلت الوَحشة بينه وبين ابنيْ عمه فخر الدين أبو بكر بن الحسن وأسد الدين محمد، فألقى المظفر القبض على (أبو بكر) وأودعه السجن في زبيد ريثما تمكن من الاستيلاء على قلعة تعز فألقاه سجينا فيها فيما سمّي بـ(دار الأدب) (الهمداني، 1973، ص 257؛ الخزرجي، 1983: 91/1؛ ابن الديبع، 1988، ص 300، 301) في ربيع الأول من سنة 648هـ(الهمداني، 1973، ص 254، 257).

وفي خضم تلك الأحداث وصل إلى زبيد والدُ أسد الدين بدرُ الدين الحسنُ بن علي بن رسول، وأخوه فخر الدين أبو بكر بن علي بن رسول من مصر بعد أن تلقَّيا خبرَ مقتل أخيهما السلطان نور الدين والد المظفر، طمعًا في الانقضاض على ملك اليمن، بعدما أخرجهما الملك المسعود الأيوبي سنة 626هـ مقيدين من اليمن إلى مصر، خوفا منهما على الملك، وعند

عودتهما استقبلهما السلطان المظفر، واحتفى بهما، ثم قبض عليهما وعلى محمد بن خضر زوج أخت أسد الدين وأودعهم سجن قلعة تعز (دار الأدب) (الهمداني، 1973، ص 280-281 و285-286) سنة 648هـ.

أمَّا أسدُ الدين فظل يتململ من تولّي المظفر السلطنة بعد أبيه، ومع ذلك ظل في عهد المظفر واليا على صنعاء 10 سنوات أخرى، وزوَّجَ المظفرَ بابنتِهُ (الهمداني، 1973، ص 279؛ (الخزرجي، 1983: 92/1)، ومع ذلك لم يكفّ عن التمرد على المظفر بين حين وآخر (الهمداني، 1973، ص 276-280)، وكان في كل مرة ينال من حِلْمِ المظفر وحُسن سياسته ما يردّه إلى الولاية، فلمّا حانت الأخيرة أخذ يتحالف مع الفُرقاء المخالفين للسلطان، فقادَ السلطان المظفر الجيش من تعز إلى صنعاء، سنة (658هـ)، وعزل أسدَ الدين، وعيّن الأمير شمسَ الدين عليَّ بن يحيى فيها (الهمداني، 1973، ص 341)، وطلب القبض على أسد الدين، وعاتب مَن آووه.

قال المظفر لبعض حلفائه الحمزيين: «فكيف تؤوون ابن عمي وتناصرونه عليَّ، وهو خارج عن طاعتي، فحينئذ قال الحمزي لا نؤويه بعدها» (الهمداني، 1973، ص 341)، وحاول أسد الدين الالتجاء إلى آل حاتم في حصن ذي مرمر المنيع القريب من صنعاء، لكنّ آل حاتم انقسموا بينَ راغبٍ في إيوائه على غضبٍ من السلطان، ورافضٍ لدخوله الحصن، وعرضَ الجانب الثاني الوساطة بينه وبين السلطان، وكان الأمير بدر الدين محمد بن حاتم -مؤلف كتاب السمط الغالي الثمن- على رأس الفريق الثاني، قال: «هرَبَ الأميرُ أسدُ الدين إلى ذي مرمر، وحطّ من وراء الدَّرْب، ولم نَتركْه يدخل الحصن، ولمّا حطّ خارجَ الحصن طلبَنا: يا بني حاتم، فخرجنا إليه، وطلبَ منّا الإيواءَ والنصر، فكان جوابنا أنْ قلنا أمّا الإيواء والنصر، فأنتَ تعلمُ وكافّة الناس أنّ في رقابنا أيْمَانًا مُغلّظة لمولانا السلطان، فنحن لا نَخْتِلُ فيها، وأمّا الاجتهادُ في الصّلاح والسداد بينك وبين مولانا السلطان، فنسعى في ذلك ونجتهد» (الهمداني، 1973، ص 243، 244، و343).

وحصلت الوساطة، وتوجه أسد الدين إلى مدينة زبيد يصحبه بعض الداخلين في الأمر للقاء السلطان المظفر، «فلمَّا دخلوا زبيدَ قُبِضَ عليهم وأمرَ السلطانُ بهم إلى [سجن دار الأدب في حصن] تعز» (الهمداني، 1973، ص 344؛ الخزرجي، 1983: 122/1)، وذكر الخزرجي أنّ أسد الدين كان ذا دين وشجاعة وكرم وعلوّ همة، بنى مدرستين وسدًّا ووقف عليها أموالا كافية، واشتغل في سجنه بالعلم قراءة وفقها وحديثا، ونسخ عددا من الكتب والمصاحف والمقدمات، حتى وفاته في ذي الحجة من سنة 677هـ (الخزرجي، 1983: 179/1).

المعنى:

افتتح الشاعر القصيدة بالبيت الأول مستخدما ضميرَ الجماعة التي يتحدث باسمها:

نَقُولُ ولَمَّا نَدْرِ كيفَ نقولُ وقد ذُهِلَتْ مِنَّا عليكَ عُقولُ

وهم فريق الحاتميين الخائفين من سوء المصير الذي يظنون أنه سيحيق بالأمير أسد الدين إنْ هو استسلم لفريق الراغبين منهم في تسليمه للسلطان المظفر صلحا بينهما، لما كانوا يعرفونه من حزم السلطان وشِدّة بطشه، وأنه لا يغفر لمن يتمادى في الوقوف في وجهه. ثم يبدأ بتذكير أسد الدين بصفاته التي يعرفها في نفسه، كما جاءت في الأبيات 2-7، إذ ينبهه بـ(أفِقْ) فأنت (مَلْكٌ) أي سيدٌ فطنٌ حسن التصرف، و(جواد) تعرف كيف تكسب القلوب، ويدعوه إلى الانتباه (ولا تنم)، والتفكير بما تؤول إليه الغفلة من عواقب وخيمة، ويذكّره بأنه صاحب تجربة ومِراس للشدائد (فإنك صلبٌ للأمور مجرب) تحسن التصرف في طوارق الأحداث، وأنت (حكيم)، وإذا قلت فعلت، ويشير إليه أن يُعْمِلَ العقل كعادته، ولا يستسلم لـ (الأهواء) والهواجس بشفاعة القرابة والمصاهرة... فمآل الهوى إلى زوال النعمة، ويدعوه إلى ألّا يتعجَّلَ باتخاذ قرار التسليم

لرغبة السلطان المظفر بأن يستسلم، فالتأني أمرٌ محمود بخلاف العجلة، وليكن ذلك مهما ضاقت الحال، وابتعد الأصحاب، وبعدت الديار، وجانبك الأخلَّاء، ويذكره أن بعض ما يصيب الإنسان من مصائب أخفُّ من أخرى.

وفي الأبيات 8-10، يذكِّر الشاعرُ أسدَ الدين بما سبق من تفريط السلطان المظفر برجال بيت الملك من الرسوليين الذين سجنهم إبعادا لهم عن معترك السياسة كعمه شرف الدين موسى بن علي بن رسول، وعمه الأكبر بدر الدين الحسن بن علي بن رسول، والد أسد الدين، وعمه فخر الدين أبو بكر بن علي بن رسول، وابن عمه فخر الدين أبو بكر بن الحسن بن علي رسول، وهو أخٌ لأسد الدين، وغيرهم من أقارب السلطان.

وفي الأبيات 11-17 يكرر الشاعر دعوته أسد الدين أن يتريث ويدير النظر مرات في أمر الاستسلام، فعسى أن يأتيه فرج من الله، حتى لا يجد نفسه في مهاوي بطش السلطان، ويختم البيت 12 بالإشارة إلى أنه إنْ لم يتسع له حصنهم بسبب موقف جانب منهم فإن أرض الله واسعة لكل مظلوم، ويعيد عليه التذكير بأنه قد جرَّب السلطان المظفر يوسف ابن عمه عُمر (مرارا) ورآه لا يهادن خصومه وإن كانوا من أحبابه فهو (فيمن يحب يغول)، وأنه ينفك من العهود للخصوم ويخفر بالذمة التي تضرب لهم، ويذهب الشاعر في البيت 15 إلى تأييس أسد الدين من رجاء العطف بحكم القرابة والرحم (فذاك قليلُ) لا يفيد، فكيف وقد قيد وسجن والدك بدر الدين الحسن بن علي بن رسول وهو بمنزلة والده كونه عمّه الكبير، بعد أن (أتاهُ) من مصر (يُداوي داءَهُ) من الأحداث التي حلت بالدولة بعد قتل والد السلطان، وكانت البلاد له قبل نقله إلى مصر فحرمه المظفر من الاستمتاع بالسلطة والحياة، وسجنه.

ويأتي البيت الـ 18 ليختم القصيدة بأن المظفر لا يرده عن مراده في الاحتفاظ بالسلطنة والحكم شيء، لا رحم ولا قرابة. وأنك يا أسد الدين إن لم تتعظ وتبتعد فقد فقدت الحكمة وصرت إلى الضعف والجهل.

اللغة والأسلوب في هذه المجموعة الشعرية:

تنتمي هذه الأشعار إلى مُدّة زمنية وسيطة بين منتصف القرن الخامس ومنتصف القرن السابع الهجريين، وإلى أماكن متجانسة في اليمن؛ بين الهضبة العليا والجبال الوسطى، وإلى قومٍ من العرب الأقحاح من الهمْدانيين، ولذلك وجدنا لهم في شعرهم هذا لغةً فصيحةً عاليةً في معجمها، وفي طريقة نظمها، وسلامة وزنها العروضي، خاليةً من اللحن والدخيل، تشير إلى صفاءٍ لغويّ غير متكلف، وتصوير غير معقد، وثقافة عربية عالية، وكأنهم لم يكونوا يتحدثون لهجة محلية غير معربة، ولا يجيدون غير الفصحَى السلسة، التي لا عجعجة فيها ولا كشكشة، مع رصانة عند التعبير عن الغرض المقصود، فقصائدهم قوية جزلة عند التهديد والعتاب ووصف الخيل، وحزينة رقيقة عند الرثاء، وعذبة مستساغة عند الاستعطاف، ومعبرة عن الأسى والتخوف عند التحذير.

الخاتمة:

كنا قبل هذا البحث قد تناولنا في أربعة أبحاث سابقة خصصناها لجمع ودراسة أشعار 9 من شعراء الأسرة الحاتمية العمرانية الهمدانية وأخبارهم، أمّا ما بين أيدينا في هذا البحث فبقيةٌ من شعر أربعة من شعراء هذه الأسرة، مجموعه 45 بيتا، في أغراضٍ مختلفة؛ ثلاثُ قطعٍ من شعر كبير تلك الأسرة وجدّها عمران بن الفضل اليامي الهمداني، ومجملها 12 بيتا؛ القطعة الأولى منها في 6 أبيات في الرثاء، والثانية 4 أبيات في العتاب، والثالثة 2 بيتان في التهديد، وجميعها قطع مجتزأة من قصائد طويلة ضائعة، لم نجد إليها كاملة من سبيل بعد التحري في البحث لعدد من السنين، ثم جئنا بأخبار الشاعر الفارس حسين بن عمران ودراسة قصيدته اليتيمة، وقوامها 17 بيتا، وهي في رثاء الملكة الصليحية سيدة (أروى) بنت أحمد، ثم ثلثنا بما استخلصناه من أخبار الشاعر الفارس نصر بن محمد بن أحمد بن عمران وقطعته الشعرية الوحيدة المكونة من 6 أبيات، وهي في وصف الخيل، وألحقنا بالثلاثة رابعهم وهو الشاعر أحمد بن محمد بن حاتم الحاتمي وقصيدته الوحيدة المكونة من 18 بيتا، وهي في التحذير لأحد قادة

الدولة الرسولية عرف بالأمير أسد الدين محمد بن الحسن والي صنعاء بين (627-658هـ). وندعو الباحثين إلى دراسة الشعراء والأشعار التي حفلت بها كتب التاريخ، ففيها من ذخائر الأدب في اليمن، ما يشير إلى ذوق رفيع، وأدب عالي المستوى؛ فصاحةً وبيانا، وفيه طاقة هائلة من التصوير لحركة المجتمع اليمني خلال العصر الوسيط.

ملحق صورة قصيدة أحمد بن محمد بن حاتم الحاتمي في تحذير الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول، والقصيدة في (مخطوط) نزهة الأفكار وروضة الأخبار، لإدريس الأنف، لوحة 66، لقطة 0340 ولوحة 67، لقطة 0339).

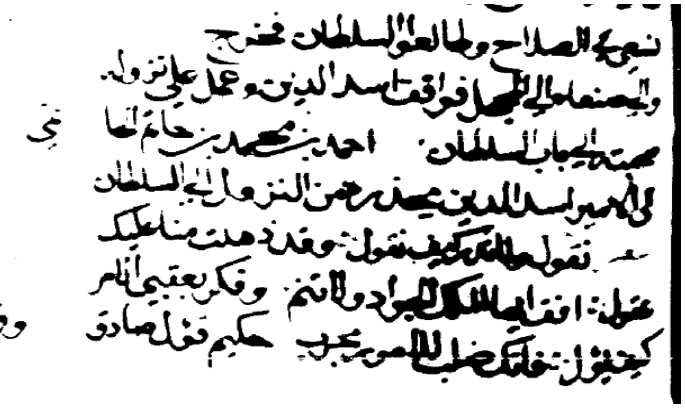

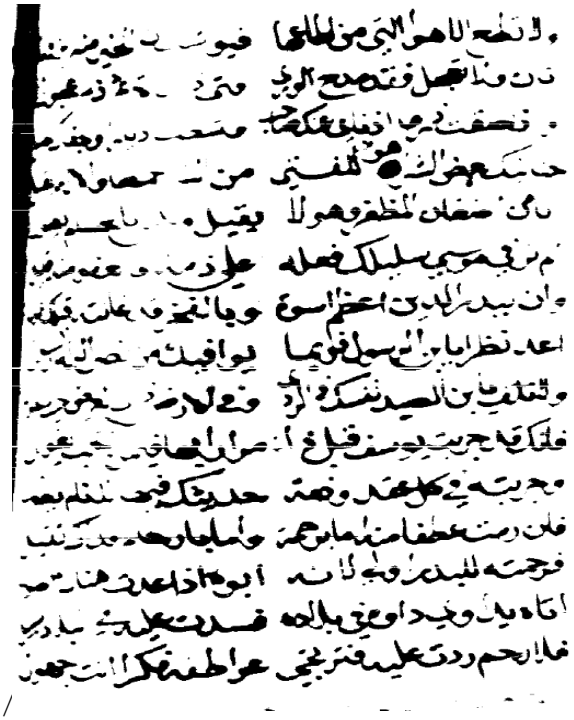

المراجع:

ابن الديبع، ع. ب. ع. (1988). *قرة العيون بأخبار اليمن الميمون* (محمد بن علي الأكوع، تحقيق؛ ط.2)، دار بساط.

ابن منظور، م. ب. م. (1988)، *لسان العرب*، دار إحياء التراث العربي.

مطلوب، أ. (2007). *معجم المصطلحات البلاغية*، مكتبة لبنان ناشرون.

الأنف، إ. ب. ا. (2019)، *عيون الأخبار وفنون الآثار (السبع السابع)* (أيمن فؤاد سيد، تحقيق)، دار الكتب والوثائق القومية.

الأنف، ع. إ. ب. ا. (1983)، *نزهة الأفكار وروضة الأخبار*، (مخطوط)، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

الحامدي، إ. ب. ا. (1979). *كتاب كنز الولد* (مصطفى غالب، تحقيق)، دار الأندلس.

الخزرجي، ع. ب. ا. (1981). *العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك*، مخطوط، المجمع العلمي العراقي رقم (35)، العراق (81).

الخزرجي، ع. ب. ا. (1983). *العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية* (محمد بسيوني عسل، تحقيق؛ ط.2)، دار الآداب، ومركز الدراسات والبحوث اليمني.

ابن رسول، ع. ب. ي. (1985). *طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب* (ك. و. سترستين، تحقيق؛ ط.2)، منشورات المدينة.

السجلات المستنصرية.. إلى دعاة اليمن وغيرهم. (1954). (عبد المنعم ماجد، تحقيق)، دار الفكر العربي، ومطبعة الاعتماد.

الشامي، أ. ب. م. (1987). *تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي*، دار النفائس.

المقحفي، إ. (2002). *معجم البلدان والقبائل اليمنية*، المؤسسة الجامعية للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع.

الهمداني، ب. م. ب. ح. (1973). *السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز في اليمن* (ركس سمث، تحقيق)، منشورات جامعة كمبردج.

الهمداني، ح. ف. (1986). *الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن* (ط.3). منشورات المدينة.

اليمني، ع. (1985). *تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد* (محمد علي الأكوع، تحقيق؛ ط.3)، المكتبة اليمنية.

المعري، أ. (1957). *سقط الزند*، دار صادر.

References

Ibn al-Dayba‘, A. B. A. (1988). *Qurrat al-ʿUyūn fī Akhbār al-Yaman al-Mīmūn* (M. b. A. al-Akwa‘, Ed.; 2nd ed.). Dar Basat.

Ibn Manẓūr, M. B. M. (1988). *Lisān al-ʿArab*. Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Maṭlūb, A. (2007). *Muʿjam al-Muṣṭalaḥāt al-Balāghiyya*. Maktabat Lubnān Nāshirūn.

Al-Anf, I. B. A. (2019). *ʿUyūn al-Akhbār wa-Funūn al-Āthār (al-Sabʿ al-Sābiʿ)* (Ayman Fuʾād Sayyid, Ed.). Dār al-Kutub wa-al-Wathāʾiq al-Qawmiyya.

Al-Anf, ʿI. B. A. (1983). *Nuzhat al-Afkār wa-Rawḍat al-Akhbār* (Manuscript). Juma Al Majid Center for Culture and Heritage.

Al-Ḥāmidī, I. B. A. (1979). *Kitāb Kanz al-Walad* (Muṣṭafā Ghālib, Ed.). Dār al-Andalus.

Al-Khazrajī, ʿA. B. A. (1981). *Al-ʿAsjad al-Masbūk fī Man Wali al-Yaman min al-Mulūk* (Manuscript, Iraqi Scientific Academy, No. 35, Iraq [81]).

Al-Khazrajī, ʿA. B. A. (1983). *Al-ʿUqūd al-Luʾluʾiyya fī Tārīkh al-Dawla al-Rasūliyya* (M. B. ʿAsal, Ed.; 2nd ed.). Dār al-Adab & Center for Yemeni Studies and Research.

Ibn Rasūl, ʿA. B. Y. (1985). *Ṭarfat al-Aṣḥāb fī Maʿrifat al-Ansāb* (K. W. Sternstein, Ed.; 2nd ed.). Madīna Publications.

Al-Sijillāt al-Mustanṣiriyya... Ilā Duʿāt al-Yaman wa-Ghayrihim (1954) (ʿAbd al-Munʿim Mājid, Ed.). Dār al-Fikr al-ʿArabī & Maṭbaʿat al-Iʿtimād.

Al-Shāmī, A. B. M. (1987). *Tārīkh al-Yaman al-Fikrī fī al-ʿAṣr al-ʿAbbāsī*. Dār al-Nafāʾis.

Al-Muqḥafī, I. (2002). *Muʿjam al-Buldān wa-al-Qabāʾil al-Yamaniyya*. Al-Muʾassasa al-Jāmiʿiyya li-al-Dirāsāt wa-al-Ṭibāʿa wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Al-Hamdānī, B. M. B. Ḥ. (1973). *Al-Simṭ al-Ghālī al-Thaman fī Akhbār al-Mulūk min al-Ghuzz fī al-Yaman* (Rex Smith, Ed.). Cambridge University Press.

Al-Hamdānī, Ḥ. F. (1986). *Al-Ṣulayḥiyyūn wa-al-Ḥaraka al-Fāṭimiyya fī al-Yaman* (3rd ed.). Madīna Publications.

Al-Yamanī, ʿA. (1985). *Tārīkh al-Yaman al-Musammā al-Mufīd fī Akhbār Ṣanʿāʾ wa-Zabīd* (M. A. al-Akwaʿ, Ed.; 3rd ed.). Al-Maktaba al-Yamaniyya.

Al-Maʿarrī, A. (1957). *Saqṭ al-Zand*. Dār Ṣādir.